

من أجل مفهوم صحيح للمقاربة بالكفاءات في بناء المناهج البيداغوجية

حسين شلوف*

1. مقدمة

إدراكا منهم لأهمية التربية في بناء الإنسان و تحقيق أهدافه وآماله، يجتهد خبراء التربية و الباحثون في جميع بلدان العالم سعيا إلى تيسير أسباب الاستيعاب لدى المتعلمين و بالتالي تبليغ المادة المعرفية عن طريق أساليب هادفة، مجدبة، و تبعا لذلك، اتخذت التربية أشكالاً مختلفة و عبرت عن نفسها بطرق متبانية ولكنها كانت دائما تصب في مجرى خدمة المتعلم.

و لما كانت الأشياء تعرف بالرجوع إلى أصولها، جدير بنا إلقاء الضوء على أشكال البيداغوجيات التي عرفتها بلدان العالم في المجال التربوي، وذلك تعميقا لفهم المقاربة بالكفاءات من حيث هي مقاربة بيداغوجية حديثة. و من أشكال هذه البيداغوجيات :

1. بيداغوجيا المحتويات

ينصب الاهتمام فيها على حجم المعرفة المبلغة. فهي التعليم المحض الذي يتجلى في جهود المدرس في الإلقاء و التلقين، بينما يقف المتعلم موقفا سلبيا يقتصر في الغالب على التلقي دون كبير اهتمام بالفهم و الاستيعاب، ويتم التركيز على الذاكرة قبل الذكاء.

* رئيس المجموعة المتخصصة في إعداد مناهج اللغة العربية و آدابها

من خصائص بيداغوجيا المحتويات :

- المعلم مالك المعرفة ينظمها و يقدمها للتلاميذ
- التلميذ يكتسب المعرفة و يستهلك المقررات.
- يرتبط المحتوى بكنوز المعرفة المخزونة في الكتب و المراجع والوثائق.
- عقل التلميذ مستودع فارغ ينبغي ملؤه بكنوز المعرفة.
- وسيلة التعليم تكاد تقتصر على الكتاب المدرسي.
- التركيز على منطق التعليم.
- التقييم يكاد ينحصر في امتحانات مبنية على قياس الحجم المعرفي المخزون في ذاكرة المتعلم بالنسبة إلى كل نشاط على حدة.

2. بيداغوجيا الأهداف

تحدد هذه البيداغوجيا - أساسا - على مستوى التصريح الواعي والمسبق بأهداف الفعل التربوي، لا على مستوى وجوده .
و من ثمة، فهي بيداغوجيا مبنية على الطموح إلى تنظيم العملية التعليمية - التعلمية بقصد الرفع من فاعليتها و بالتالي من مردوديتها وتجاوز نتيجة لذلك الممارسة التربوية القائمة على الحدس و التخمين، و من خصائصها :

- تنظيم الفعل التعليمي-التعلمي
- إضفاء للذة العقلية على الفعل التعليمي - التعليمي
- دعم فاعلية الممارسة البيداغوجية و تحسين مردوديتها
- غرس أسس العقل النير في تفكير المتعلمين.
- التحكم في المادة التعليمية و التأكد من مدى تحققها

3. بيداغوجيا الكفاءات

أظهرت دراسات قام بها مربون مختصون بأن ثمة تلاميذ اكتسبوا معارف في المدرسة و لكنهم ظلوا عاجزين عن تفعيل هذه المعارف في مواقف

الحياة التي تصادفهم يوميا، الأمر الذي جعل خبراء التربية يفكرون في إعداد بناء الفعل البيداغوجي على مبادئ تركز على ما هو أنفع و أفيد بالنسبة إلى المتعلم و أكثر اقتصادا لوقته.

- و من هنا ظهرت المقاربة بالكفاءات كرد فعل لبيداغوجيا المحتويات المثقلة بمعارف غير ضرورية للحياة و لا تسمح لحاملها أن يتدبر أمره في الحياة العلمية وكذا لبيداغوجيا الأهداف التي تقدم المادة التعليمية مجزأة، مركزة في ذلك على فاعلية المحتويات.

و إذن، جاءت المقاربة بالكفاءات لتقترح تعلما مدمجا غير مجزأ، يسهم في ترقية العملية التعليمية حيث إنه يقوم على :

إعطاء دلالة للتعلّيمات : و ذلك بتحديد أبعادها عن طريق جعل المعارف النظرية روافد مادية تساعد المتعلم بفاعلية في حياته المدرسية و العائلية ومستقبلا في حياته بصفته راشدا و عا مالا و مواطنا.

جعل أشكال التعلم أكثر فاعلية بتثمين المعارف المدرسية و جعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة. فتكون المكتسبات أكثر ارتباطا فيما بينها، وأكثر وضوحا، و يكون الاهتمام منصبا على الأهم دون الهام، ولعل هذا ما جعل أحد المربين يطلق على بيداغوجيا الكفاءات تسمية بيداغوجيا الأهم و ترك الهام.

بناء التعلّيمات الداخلية : إن جعل مختلف مكتسبات التلاميذ في وضعية تناسق تدريجي و توظيف متصل و في وضعيات ذات دلالة، فكل هذا يجعل هذه المكتسبات تتجاوز إطار القسم البيداغوجي أو العام الدراسي، حيث يبنى داخليا لدى المتعلم نظام أكثر شمولية و ثراء.

فمن سنة إلى أخرى، و من طور تعليمي إلى آخر، يعاد استغلال المكتسبات المتراكمة تدريجيا و توضع هذه المكتسبات في خدمة كفاءات أكثر تعقيدا.

و بهذا، تسهم بيداغوجيا الكفاءات في بناء التعلّيمات الداخلية وتأسيسها، وبالتالي في صنع المتعلم الكفء.

4. خصائص المقاربة بالكفاءات

- إنها بيداغوجيا تفريد العملية التعليمية إذ أثبتت خصائص المقاربة الدراسات البيداغوجية الحديثة أن الفعل التربوي بالكفاءات يكون ذا فاعلية متى أسهم المتعلم في بناء أحكامه بنفسه إسهاما فعالا. والرسول (ص) ينادي صراحة بهذا المبدأ حيث يقول - في حديث رواه البخاري - : "وإنما العلم بالتعلم".
- إنها بيداغوجيا الاستقلالية و المبادرة : و تظهر هذه الخاصة في نشاط المتعلم أثناء إنجازه للمشروع البيداغوجي بصورة خاصة .
- إنها بيداغوجيا الإنتاج حيث إن كفاءة المتعلم لا تظهر إلا من خلال ما ينجزه من أعمال .
- إنها بيداغوجيا نفعية حيث تتجه مادتها التعليمية إلى ما ينفع المتعلم في شتى مجالات نشاطاته. و هذا الاتجاه إلى النفعية في المجال البيداغوجي يفسره الانفجار المعرفي الذي أصبح العالم يعيشه اليوم. كما أنه اتجاه يوافق فطرة الإنسان و طبيعته. و في ثقافة الدين الإسلامي ما يدعو إلى النفعية والبراغماتية. فقد جاء عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه : " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن ". و قد جاء في الذكر الحكيم : " و عد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ". (النور 55)
- و هناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة تشيد بالعلم النافع : "إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

و بالمقابل تنعى و تندد بالذين لم ينتفعوا بعلمهم "أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه".

و كان ابن عبد ربه (328 هـ) يقول : "العلم علمان: علم حمل و علم استعمل. ما حمل منه ضر و ما استعمل نفع".

و ها هو الجاحظ (255 هـ) يدعو إلى تعليم النحو بقدر انتفاع المتعلم منه دون زيادة إلى ما لا فائدة منه حيث يقول : و أما النحو فلا تشغل قلبه (أي الصبي) به إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن".

● إنها بيداغوجيا الإبداع و إذكاء فكر المتعلم، و ذلك بعدم تقديم له المادة التعليمية جاهزة لتستقر في ذاكرته و لكن بدفعه إلى بنائها عن طريق نشاطات متنوعة و ثرية و انطلاقا من أن ما يتعلمه عن طريق التلقين قد ينساه، و لكنه لا ينسى أبدا ما اكتشفه بنفسه. و كان سقراط قد نحا هذا المنحى و طريقته في الجدل و التي أطلق عليها اسم "التوليد" أي توليد الأفكار من الذاكرة أشهر من أن أذكرها هنا.

علما بأن عملية البناء هذه تتم عن طريق الأساليب التي يراها المدرس مناسبة.

و بهذا المبدأ في التدريس تسهم بيداغوجيا الكفاءات في تنمية فكر المتعلم ودفعه إلى الإبداع.

● إنها بيداغوجيا الإدماج و الإدماج - في السياق العام - عملية نجعل بوساطتها مختلف العناصر المتفككة عناصر مترابطة، و ذلك من أجل توظيفها بشكل واضح و منسجم لتحقيق مسعى معين. أما في السياق البيداغوجي، يمكن القول بأن الإدماج يندرج ضمن عملية توظيف المتعلم - بشكل متصل - مختلف المكتسبات في وضعية ذات دلالة.

و عندما يصل المتعلم إلى إدماج مكتسباته في علاج الوضعيات التي تقترح عليه، يكون بذلك قد برهن على انتقاله من دائرة المعارف إلى دائرة المعارف الفعلية.

- إنها بيداغوجيا أكثر إجرائية مبنية على المعرفة و المعرفة الفعلية والمعرفة السلوكية. و هذا المبدأ يجعلنا نتذكر التعريف الوارد عن الكفاءة في المجال البيداغوجي حيث "إن الكفاءة مجموعة من المعارف و المعارف الفعلية و المعارف السلوكية التي تسمح بأداء دور أو وظيفة أو نشاط بشكل مناسب و فعال.
- و المعارف و المعارف الفعلية و المعارف السلوكية عناصر أساسية في شخصية الإنسان و الفعل التربوي - في ظل المقاربة بالكفاءات - يتوجه إلى تنميتها وتطويرها.

2. وضعية التقييم في ظل المقاربة بالكفاءات

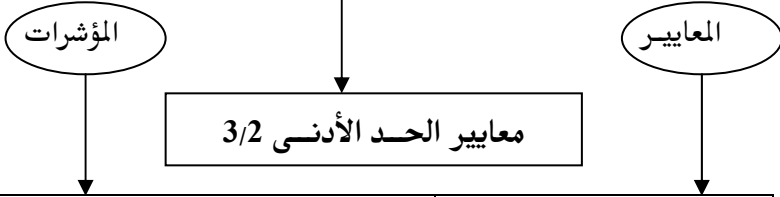
عندما يتعلق الأمر بتقييم الكفاءات فالاهتمام لا ينصب على صوغ أسئلة تتمحور حول المعارف و لكن يجب أن ينصب الاهتمام على وضع المتعلمين في وضعية معقدة بحيث يدعو حلها إلى تسخير الموارد و المكتسبات التي يتوافر عليها هؤلاء المتعلمون و وضعية التقييم - في ظل المقاربة بالكفاءات- تسمح بالوقوف على مكتسبات المتعلمين بدلالة الكفاءات حيث إن المتعلم الكفاء يفعل مجموعة معلومة من الموارد من أجل حل إشكالية مطروحة في سياق معلوم، على نحو ما هو معروف في إنجاز الوضعية - المشكلة ذات طابع تقييمي و الوضعيات المستهدفة.

خصائص وضعية التقييم

- تحديد الكفاءة موضوع التقييم
 - تخضع وضعية التقييم إلى منتج
 - تخاطب الوضعية كل تلميذ على حدة
- تبني وضعية التقييم بشكل يبسر إدماج المعارف و المعارف الفعلية و المعارف السلوكية و القدرات.

- التلميذ فاعل و مشارك
- وضوح المقروئة و دقة التعليمات
- وضعية التقييم تكون جديدة على المتعلم.
- مراعاة مستوى المتعلمين المستهدفين
- تكون ذات دلالة بالنسبة إلى المتعلم

معايير تقييم كفاءة



<ul style="list-style-type: none">- استجابة المنتج للتعليمية و توافقه معها .- استجابة المنتج لنمط الكتابة المطلوب .- استعمال رصيد معجمي مناسب .	الملاءمة مع الوضعية 1
<ul style="list-style-type: none">- بناء الجمل بناء سليما.- حسن توظيف قواعد النحو و الصرف .- صحة توظيف أزمنة الأفعال.- استعمال علامات الوقف حسب مقتضى الحال .	سلامة اللغة 2
<ul style="list-style-type: none">- مراعاة قواعد الكتابة.- الكتابة الصحيحة لما هو متصل بالرسم و الإملاء.	سلامة الرسم 3

معايير الحد الأقصى: 3/1

المؤشرات

المعايير

<ul style="list-style-type: none"> - ثراء الأفكار - التعليل للرأي - ثراء الرصيد المعجمي و المستعمل - توافر الاتساق و الانسجام في المنتج - توافر الأسلوب على الجمال في التنظيم و حسن العرض . 	<p>مصداقية التعبير و جمالية العرض .</p>
--	---

3. المراجع

زياد، فكري حسن، تخطيط المناهج الدراسية، القاهرة، مكتبة الفلاح، 2003.

محمد رجب، فضل الله، الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، مصر، مطبعة أمون، 2001.

رشدي، طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعلم اللغة العربية (إعدادها - تطويرها - تقويمها)، بيروت - لبنان، دار الفكر، 1997.

درسنا اليوم، إعداد جماعة من الباحثين، الدار البيضاء، دار خطابي للطباعة والنشر، 2001.

أبو حطب، فؤاد، القدرات العقلية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995.

Roegiers, X., *Une pédagogie de l'intégration, compétences et intégration des acquis dans l'enseignement*, éd. de Boeck, université Bruxelles, 2000.

Perrenoud, P., *Construire des compétences dès l'école*, Paris, éd. Armand Colin, 2003.

Schoer Lowell, A., *L'évaluation des élèves dans la pratique de la classe*, Paris, PUF, 1975.

Légendre, R., *Dictionnaire actuel de l'éducation*, Paris, Larousse, 2000.

Tardif, J., *Savoir et savoir faire une dynamique pédagogiquement ignorée*, Paris, Nathan, 1997.